7 - السيدة هند بنت عمرو

نسبها

اسمها هند، والدها عمرو بن حرام، أخوها النقيب عبد الله بن عمرو بن حرام شهيد الإسلام في أُحد، وهي عمة جابر بن عبد الله راوي الحديث المشهور، وأما زوجها فهو عمرو بن الجموح أحد زعماء يثرب في الجاهلية، ومن أشراف الأنصار في المدينة.

إسلامها وإسلام زوجها

أسلمت هند بعد انتشار الإسلام في المدينة على يد مصعب بن عمير المقرئ سفير رسول الله ﷺ ليعلِّم أهلها أحكام الدين، ويقرأ فيهم القرآن.

وكان عمرو بن الجموح - زوجها - قد اتَّخذ له في الجاهلية صنماً داخل منزله - على عادة أشراف الجاهلية - يعبده من دون الله، ويذبح له في المواسم ويقرب القرابين، واستقدم عمرو من الحبشة خشباً نفيساً، وأوصى أن يُصنع له منه صنمٌ خاص، فلما انتهى سمَّاه مناة، وزيَّنه ودهنه، وضمَّخه بالعطر النادر، دون أن يدري أن جهوده كلها ستذهب سُدًى، وتضيع أدراج الرياح.

ولما علم أهل المدينة أن مصعب بن عمير نزل ضيفاً على أبي أمامة أسعد بن زرارة أَمَّ الناسُ بيتَه ليسمعوا ما جاء به، وكان أبناء هند الثلاثة معوذ، ومعاذ، وخلاد، قد سبقوا إلى الدخول في الدين الجديد دون علم أبيهم عمرو، وآمنت هند بما آمن به بنوها، وكتمت ذلك عن زوجها حتى تسنح الفرصة لهم ليجهروا بإيمانهم.

وكان أبناء عمرو مواظبين على مجالس مصعب، وكانوا يعودون إلى

منزلهم ويعلِّمون أمهم ما حفظوه من آيات القرآن الكريم، وأحكام الدين القويم في غياب أبيهم، ولما بدأت بيوت المدينة تتحدث عما يجري في مجالس مصعب، وأخذ أتباعه يكثرون، خاف عمرو أن يتأثَّر أبناؤه بقوله ويصبحوا من أتباعه فنادى زوجه هنداً، وقال لها: حذارِ يا هند من أن يلتقي بنوك بهذا الرجل الآتي من مكة لئلا يفسدهم علينا، فقالت له بهدوء: اطمئنَّ، ولا تخشَ شيئاً عليهم.

وكان معاذ بن جبل صديقاً لمعاذ بن عمرو بن الجموح وحكى ابن عمرو لصاحبه عن تمثال أبيه، فاتفقوا أن يأتي مُعَاذ بن جبل في الليل ويساعد أبناء عمرو في نقل الصنم ورميه في إحدى المزابل؛ ولما أخلد عمرو إلى النوم جاء ابن جبل لينفذ ما اتفق عليه مع أبناء عمرو، ثم حملوا الصنم وأكبوه على وجهه بين القمامة والأقذار.

وصحا عمرو بن الجموح صباحاً وذهب إلى غرفة مناة ليؤدي واجباته اليومية نحوه فلم يجده، وراح يصيح ويهدِّد ويتوعد، ثم نادى على هند وأولادها، فأنكروا علمهم بما حلَّ به، وغادر المنزل ليبحث عنه ثم عاد بعد قليل، بعد أن وجده بين أكداس القمامة، وجلس ينظفه ويدهنه ويعطره، ووعده بالانتقام له ممن عدا عليه.

وعجبت هند وبنوها مما يصنعه رجل سيد في قومه، إذ يكلِّم خشبةً صمَّاءَ، ويعتذر لها دون أن يسمع جواباً لما يقوله له، وجاء عمرو بسيفٍ وعلقه في عنق مناة حتى يدافع به عن نفسه إذا تكرَّر ما حدث له في الليلة الآنفة.

ولما نام الشيخ جاء معاذ بن جبل وتعاون مع أبناء عمرو ثم حملوا الصنم ورموه فوق المزبلة وجاؤوا بجيفة كلب وربطوها في عنقه، ثم انصرفوا عنه وكأن شيئاً لم يكن.

ولما استيقظ عمرو في اليوم التالي، فوجئ بغياب مناة فعلا صراخه وكثر تهديده، ثم انطلق خارج المنزل، فلما رآه مكباً على وجهه، وجيفة

الكلب في عنقه، والسيف معه دون أن يدافع عن نفسه علم أنه غير جدير بأن يكرم ما دام راضياً أن يهان، ثم تركه في مكانه وعاد إلى بيته بادي الأسى كاسف البال، ورأته هند وأبناؤه حزيناً فسألوه عما يحزنه، فلم يجبهم بشيء، ثم قال لهند: لعل أحداً من بنيك لم يخالف ما حذَّرتك منه! قالت: أجل! ولكن ربما يكون معاذ قد سمع شيئاً من هذا الرجل المكي، فهلاَّ ناديته!! ونادى عمرو ابنه، وكان في غرفة مجاورة، فقال: لبيك يا أبي، ولما مثُل بين يديه قال له: ألم تحفظ شيئاً من هذا المقرئ القادم إلينا من مكة؟ قال: بلى يا أبي! قال عمرو: هَلاَّ أسمعتني بعض ما حفظت، قال معاذ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 1 - 7] آمين، صدق الله العظيم».

فتمتم عمرو كمن يحدث نفسه، وراح يقول: ما أجمل هذا الكلام! ثم قال لابنه: هل كلُّ كلامه بهذا البيان والجمال؟ وسُرَّ معاذ وقال: نعم يا أبي، كلُّ كلامه حلو وجميل، فهلاَّ ذهبت إليه، وسمعت منه، وبايعته، فإن أشراف القوم كأسعد بن زرارة، وأُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن رواحة، وهم سادة الأوس والخزرج قد سبقوك إليه، وآمنوا بما جاء به.

وتحمَّست هند وقالت: لو سمعت كلام الفتى، وذهبت إليه، وبايعته فقال: سأشاور آلهتي، فقال معاذ: وهل تنتظر الجواب من خشبة صماء خرساء، فقال عمرو: ما هذا الذي تقوله؟ قال: لا شيء يا أبي، لا شيء.

ثم قال عمرو لنفسه: نعم إنها خشبة صماء خرساء لا تدرك ولا تحس ولا تعي، والتفت إليهم وقال: ألستم على ما أنا عليه؟ فردت هند وبنوها بفتور: بلى، أنت سيدنا، فقال عمرو: إذاً اشهدوا أنني آمنت، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

واكتملت فرحة الأسرة، وغمرتهم سعادة لم يعرفوها من قبل، وأرسل عمرو يدعو مصعباً لزيارة بيته، ولبَّى مصعب الدعوة فطهَّر بيتهم من رجس الأوثان، وعطَّره ببعض آيات القرآن، وكانت ليلة بهيجة قضاها مصعب عندهم ضنَّ بمثلها الزمان.

خروج أبنائها إلى الجهاد

ولما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة كانت أسرة عمرو بن الجموح على رأس مستقبليه، وكانت بيوت المدينة قد أصبحت خالية حيث خرج أهلها للترحيب بأعظم الضيوف وأشرف الكائنات.

وكان عمرو بن الجموح يشكو من العرج في ساقه، وحين سمع أن رسول الله ﷺ سيخرج إلى قتال المشركين في بدر، أسرع إلى داره يجهِّز نفسه للخروج، إلاَّ أن هنداً وأبناءها أبدوا اعتراضهم على خروجه لما يعانيه، وأنه معذور بسبب عرجه، وأمام إصرار عمرو ذهب أولاده إلى رسول الله ﷺ ورجوه أن يأمر أباهم بالبقاء، واستجاب النبي ﷺ لرغبتهم، وبقي عمرو، وخرج بنوه، ولم تلبث أنباء القتال في بدر ونجاح المسلمين في القضاء على كبار زعماء المشركين تصل إلى المدينة شيئاً فشيئاً، وكان سرور عمرو بعودة أولاده بالنصر المبين كبيراً، ولكن كان يتمنى أن يشهد المعركة بنفسه لعل الله يرزقه الشهادة!.

وأما قريش فقد بهظتها الهزيمة وأفقدتها هيبتها، ونالت من كبريائها نيلاً عظيماً، لذلك عقدت العزم على الثأر، وأخذت تعد العدة للقاء المسلمين في معركة أُحد.

خروج زوجها إلى الجهاد

وكما اعتاد رسول الله ﷺ فقد شاور أصحابه في الانطلاق إلى أُحد، فأيَّد ذلك بعضهم وعارضه المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي ابن سلول، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين لم يحضروا بدراً متحمسين إلى لقاء

المشركين في أُحد حتى يعوضوا ما فاتهم من خير، ومن بينهم كان عمرو بن الجموح ﷺ.

وفوجئت هند وأبناؤها بدخول عمرو إلى المنزل وقد غمرته نشوة وسرور لم يشهدوهما من قبل، وحين رأوه يحمل سلاحه، قالوا: إلى أين يا أبا معاذ؟ قال: سأحقق حلمي، وأخرج مع رسول الله ﷺ إلى أُحد، قالت هند: يا أبا معاذ، أنت غير قادر على الجهاد، وقد عذرك الله حيث قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61] فلا ترهق نفسك، فقال عمرو: والله يا هند لأمشينَّ عليها في الجنة.

ووقف أبناؤه الثلاثة ليمنعوه من الخروج وهم يقولون: لقد عذرك الله يا أبانا... لكن الإيمان إذا رسخ في القلب أظهر صاحبه العجب، وهذه المرة ذهب عمرو يشكو أهله إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن زوجي وأولادي يريدون منعي من الخروج معك إلى القتال، وأنا أريد أن أطأ بعرجتي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: **«لا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللهُ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ»**، والتفت إلى عمرو وقال له: **«أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ»**.

وحمل عمرو سلاحه، وخرج مع أولاده كأنه أسد يحيط به أشباله، وأي شرفٍ أعظم من أن يشاركوا رسول الله ﷺ في قتال أعداء الله والدين؟!.

روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ، قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ، أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَعَمْ»** فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ»** فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ[1].

(1) رواه: أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث أبي قتادة الأنصاري/برقم: (12511).

استشهاد عمرو بن الجموح

وبلغ عمرو مناه فقد استُشهد في أُحد، وكان شريكه في الشهادة أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام، أخو هند، ووقفت بنت عمرو تبكي أباها، وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جِيءَ بِأَبِي مُسَجًّى وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثَّوْبَ فَنَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: **«مَنْ هَذِهِ؟»** فَقَالُوا: بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فَقَالَ: **«وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ»**[1].

والتقت هند ببعض نساء ينظرن أقارب لهنَّ بين الشهداء، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: خرجنا صبيحة يوم أُحد عند السحر، فإذا امرأة أقبلت بين عِدْلَيْنِ[2] فقلت لها: ما الخبر؟ قالت: خيراً، دفع الله عن رسوله ﷺ وعن المؤمنين، واتَّخذ الله من المؤمنين شهداء، ثم بكت، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: 25].

وكانت هند بنت عمرو ﵂ قد رغبت في نقل جثتي زوجها عمرو وأخيها أبي جابر إلى المدينة لدفنهما هناك، فلما أُخبرت أن رسول الله ﷺ أمر أن يدفن الشهداء حيث صرعوا تركتهما، وقال رسول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ،**

---

(1) رواه: مسلم/كتاب: فضائل الصحابة/باب: من فضائل عبد الله بن حرام والد جابر/ برقم: (4517).

(2) العِدْلَيْنِ: الحِمْلَيْنِ.

رَأَيْتُهُ يَطَأُ الجَنَّةَ بِعَرْجَتِهِ»، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يُدفنا في قبر واحد لأنهما كانا متحابين في الدنيا متصافيين.

وعادت هند الصابرة المحتسبة إلى المدينة مخلِّفةً وراءها أعزَّ شهيدين، وظلت على عهدها لله ورسوله، صوَّامة قوَّامة حتى وافاها أجلها، رحمها الله تعالى ورضي عنها.

obeikandl.com